حالة اوربا الاقتصادية اليوم

وضعت الحرب العظمى اوزارها وعقدت الهدنة ثم تمت معاهدة الصلح البغراء وما فتئت الشعوب الاوربية خاصة والامم عامة تصيح وتستغيث من الحالة الشاذة التي مُني بها العالم في معايشه منذ سنة ١٩١٤ والتي لم ينحصر اثرها السيء في بقعة واحدة بل عم المسكونة قاطبة لما جرّتهُ من الاضرار في الانتاج والكساد في التبادل وكان اشدها وقعاً على القارة الاوربية التي ساءت قوة البيع والشراء فيها وضعفت ولم تقف عند حدود البلدان المحاربة التي اكتوت بنار الحرب بل تجاوزتها الى البلدان الاخرى في اوربا ولم ينحصر تأثيرها في البلاد التي نزلت بهبوط سعر نقدها بل تعدتها الى البلاد التي احتفظ نقدها بمستواه او زاد عليه

حيّرت هذه الامور عقول كبار الماليين والسياسيين فاغلقت عليهم مداواتها لتعقّد اسبابها وعللها مع انها ترجع في الاصل الى امور مقررة مثل هلاك الملايين من الشبيبة في تلك الحرب الطاحنة واستهلاك ما ادّخرتهُ الامم قبلها من مواد اولية وعروض معاشية ولم يكن في الامكان الحصول على ما يقوم مقامها في هذا الوقت القصير كما لم يتأتّ تعمير ما تخرب من البلاد بما حوت من دور ومصانع وما قلب فيها من اراضٍ زراعية الى ارض موات فضلاً من جرائه قحط في الموجود وافتقار في القوى عقبها تقتير في الاستهلاك العام حال دون انتعاش الحالة المعاشية وانتهى في كثير من البلدان بمطلة الالوف والملايين من العمال مما جعلهم بعدها عالة على الممولين . وكان من نتائج كلّ ما تقدم شيوع روح الاشتراكية شيوعاً هادماً للنشاط اوجب على الحكومات ضرب الضرائب الفادحة سدًّا للنفقات الطائلة فكان ذلك سبباً للغلاء المشاهد الآن والذي يئن منهُ البشر ويعدونهُ شقاءً عالميًّا

نهض الاوربيون منذ بضعة قرون بهضتهم بعد ان نالوا قسطاً وافراً من العلم احتلهم محلّ الاختراع والابداع في الصناعات ووضعهم موضع المهذب والمسيطر بما نالوهُ من علم وقوة فوجهوا قواهم الى بلدان العالم الاخرى لترويج صناعاتهم فيها وفتح الاسواق الرائجة لها ولم يمضِ عليهم الوقت الطويل حتى قربوا المسافات ووصلوا القارات بما بنوهُ من طرق حديدية وانشأوهُ من سفن وبواخر فنالوا

السيادة ووقفوا جميع قواهم على الاحتفاظ بها والسيادة عليها من الوجهة الاقتصادية حتى صاروا اصحاب الكلمة النافذة في تدبير شؤونها فغدت اوربا الرأس لجسم هذا الاجتماع وما اصاب هذا الرأس من علة شعر به المجموع وارتجت عليه ابواب الخلاص. ولا يعود البدن الى الصحة الا اذ شفي الرأس المدبر

فالانسانية تتألم اليوم من الم اوربا وتشقى بشقائها وما علة هذا الشقاء الا غلّ في الصدور واطماع في دول الغرب . فغاية كل دولة ان تستأثر بالغنم وان تقذف بجارتها الى الفقر او الهلاك . وقد عرف قادة اوربا او زعماؤها الداء ولم تفتهم معرفة الدواء لبُرء هذا المجتمع غير ان ما جاش في صدر كل دولة من دولهِ من الميل الى استعباد الآخرين والانتقام من المزاحمين والاعداء المجاورين لم يدع مجالاً الى تسوية ما بينهن من خلافات سميت تجاهلاً سياسية وما هي الا معاشية اقتصادية

هبط نقد بعض الامم هبوطاً لا مثيل لهُ في تاريخ النقد وارتفع سعرهُ في غيرها عن مستواهُ وخالف في هبوطهِ وصعوده نظام التبادل المعروف لانهُ لم يعد للتبادل يد في سعر النقد بين بلد وآخر او مملكة واخرى كما لم يعد الى قاعدة يعوّل عليها كما كان يعول على سعر الذهب العين لان بعض الممالك حصرت في حيازتها الذهب كله واخرى فقدت ما كانت تمتلك منهُ فتلك خزنتهُ في خزائنها ولم تسمح بتداوله والاخرى استبدلتهُ بنقد الورق . ومن هذه الدول من عمّمت ورق النقد ووضعت تأميناً لهُ اوراقاً مالية على خزائنها او على خزانة من تثق بضمان اوراقهِ من الدول الاخرى وجعلت لطبع ورقها هذا حدّاً محدوداً حتى يكون في ضمان من الهبوط . واخرى طبعت منهُ جزافاً فكانت كالتاجر المقبل على الافلاس يمضي صفائح تستقطع قيمها المصارف وهي لا تمثل عيناً ولا عروضاً فتهبط قيمها في كل يوم تعرض فيهِ في الاسواق كلما ازداد مقدارها . الا ان النتيجة اسفرت في كلتا الحالتين عن خسارة فادحة في الانتاج واضعاف في قوة الشراء فلا البلاد التي هبط نقدها استفادت منهُ ولا التي بقي نقدها على مستواهُ او زاد عليهِ. فسقطت حجة القائلين بان النقد هو علة الداء وعرف الناس ان السياسة الفاشمة هي اصل البلاء فلم تعد الى اوربا الراحة والسلام ولا يقوى فيها عضو وحدهُ على ازالة الغش فصاح غير واحد من اهل الرأي والتدبير في دفع الطمع بالقناعة وتطهير الصدور من ادران الانتقام لتنشق اوربا هواء نقيًّا يطهر ما في جسمها من عفن السياسة فينتعش جسمها ويبرأ من علتهِ القتالة

اكبر بعض اهل السياسة هذه الصيحة منكرين الحقيقة الناصعة التي تمسدوا حجبها بالاكف فصاغوا احاديثهم وخطبهم الخلابة وضربوا بها على وتر العواطف لاكتساب تأييد الرأي العام فنانوا بسياستهم هذه ما زادوا أزمة اوربا شدة واستحكاماً

سل الفرنسويين اليوم لماذا تجندون الجنود وتسلحون المئات والالوف من زهرة شبابكم ثم تدربونهم على القتال وتنفقون عليهم بدرات الاموال وانتم تشكون من خراب بلادكم وشلل معاملكم عن الانتاج واستخدامكم للالوف وعشرات الالوف من العمال الغرباء ولا توجهوا هذه القوى العاملة الى تعمير ما خربتموه وانعاش الانتاج الزراعي الصناعي لتدفعوا الكساد العام وتخففوا عبء ديونكم وترفعوا سعر نقدكم فتكونوا في مقدمة الناهضين الى اصلاح هذا الخلل كما كانت مبادئكم الحرة المشهورة فيجيبوك اقدمنا على ما بينت للذود عن كياننا ولا كراه الاعداء الالداء على ان يدفعوا ما قررته لنا معاهدة الصلح

وسل الالمان ماذا يؤخركم عن دفع التعويض ويمنعكم عن القيام بما تعهدتم لتعودوا الى سابق نشاطكم ومقامكم الصناعي الذي تجلت فيه مقدرتكم لتهونوا عليكم وعلى الناس اجمعين ارجاع اعلام السلام والرخاء خفاقة فيجيبك هذا الشعب الذليل: قد نزعوا منا كل سلاح وسرحوا جيوشنا وصيرونا جمهورية ميالة للاشتراكية تأميناً لهم من شن غاراتنا وتقلباً لاظافرنا من ان تعبث بهم مرة ثانية فقبلنا ان نكون كما اراذوا ونزعنا الى العمل لندفع ما علينا الا انهم لم يتركوا لنا الوقت الكافي ليتماثل جسمنا الى القوة ولنستعيد مكانتنا الاولى في الصناعة والتجارة ثم جزأوا بلادنا وسلخوا عنها ما اعدّهُ ضرورياً لصناعاتنا ثم احتلوا قسماً آخر منها وهو القلب من مجموعنا الصناعي وسدّوا الآذان عن سماع كل ما قدمناهُ من حجة تقنعهم بوجوب امهالنا وآل ذلك الى شلل صناعتنا وازدياد فقرنا وكأنهم يعاملوننا بما كان يعامل به الاسير المغلوب من الظلم والاستعباد في القرون الخالية ففقدنا وسائل العمل. وكلما يدّعونهُ من ثروة نحوزها انما هو تخرصات لا يقام لها وزن فنحن نطلب تأليف لجنة من الخبراء الحايدين تبحث في مواردنا وتفصل في قوتنا فنعمل بما ترى وتقوم بايفاء ما تفرضهُ علينا

فبين المذهب الاول مذهب الفرنسويين وبين المذهب الاخر مذهب الالمانيين تذهب راحة العالم ضياعاً وتزيد النار التهاباً وهي كما ترى مبنية على الاطماع والاحقاد

وفي مقالاتنا التالية سنأتي على حالة كل دولة من دول اوربا الكبرى لنصل الى نتيجة حاسمة يتضح معها النور لذي عينين

ثابت ثابت